

بجوت قئمة

مصا در العلوم الاسلامفة

الشفء أبو الحسن علف الحسنف النءوف

نقله إلى العربفة

علف عشفمان

مولانا ابوالخار

بحوث قيّمة

مصادر العلوم الإسلامية

السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي

نقله إلى العربية

علي عثمان

مؤسسة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

ألقى الاستاذ الداعية السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي مادة هذا الكتيب في الكلمة الختامية للمؤتمر المنعقد في كانون الثاني عام ١٩٧٧ تحت رعاية قسم الدراسات الاسلامية في جامعة عليكرة بحضور عدد كبير من اساتذة وممثلين عن الجامعات والمعاهد الاسلامية . وقد نشرت هذه المحاضرة فيما بعد تحت عنوان «مصادر العلوم الاسلامية» وترجمت الى اللغة الانكليزية ونشرت في كتيب صغير مع الكلمة الافتتاحية التي القاها الاستاذ الندوي في نفس المؤتمر المذكور تحت عنوان « الاسلام في عالم متغير » .

وبعد ان كلفني الاستاذ الندوي بترجمته الى اللغة العربية - جزاه الله خيرا ونفع المسلمين بعلمه - عدت الى نشر كل محاضرة في كتيب صغير يحمل كل منهما عنوان المحاضرة بالذات .

نرجو من الله ان يوفقنا الى ما فيه رضاه .

دمشق ٢٩/٥/٧٨

علي مستو عثمان

- ٣ -

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الاولى
١٩٧٨

ص٠ ب بيروت ٨٨٤٢

ص٠ ب دمشق ٥١٩٥

أيها السادة

انه لمن اعظم دواعي سروري ان ارى علماء المعاهد الثقافية الحديثة قد بدأوا يهتمون بالعلوم الاسلامية ، والمؤتمر الحالي هو البرهان على ذلك ، وباعتبارنا أناسا مكرسين لهذه العلوم يمكن لنا ان نقول مع « اقبال » :

« ولت تلك الايام التي كنت فيها وحيدا في الاجتماع كثيرون هم الذين يشاركونني اسراري هذا اليوم »

لم تكن كنوز المعرفة في يوم ما احتكارا لطبقة اجتماعية دون أخرى وما كان يجب ذلك. أما فيما يتعلق بالاسلام فانكم تعلمون انه ليس هنالك طبقة تتوارث الكهنوت ابا عن جد ، ان مفاهيم الكهنوت هي من حليب العالم النصراني وغريبة في عالم الاسلام ، واذا مسا وجدت عبارات او تعابير كهذه في كتابات بعض العلماء فمرد ذلك فقط الى التقليد الاعمى للغرب ، اصبحت عبارة «رجال الدين» في ايماننا هذه شائعة - حتى بين الكتاب العرب!! - وبدأوا يستعملونها بنفس المفهوم الذي تعنيه كلمة « الكهنة » في العالم النصراني . أما الكتاب الحذرون المتمسكون بالدين ، والذين يريدون التعريف الصحيح بالفكر والروح الاسلاميين فقد اجتنبوا بحذر شديد استعمال عبارات كهذه .

مصادر العلوم الاسلامية

كلمة الختام لمولانا السيد

ابو الحسن علي الحسيني الندوي

(عقدت الجلسة الاخيرة من المؤتمر بتاريخ ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٧٧ برئاسة البروفيسور محمد شافي نائب رئيس الجامعة الاسلامية - عليكره . ولقد ألقى مولانا السيد ابو الحسن علي الحسيني الندوي الكلمة الختامية . وكان من بين الحاضرين البروفيسور أ.م. خورسو نائب رئيس الجامعة الاسلامية - عليكره والسيد بدرالدين طييجي والدكتور مسعود حسين .

السفر في نمو الاستشراق :

هناك بعض البواعث وراء كل فرع من فروع المعرفة، ولقد رفعت هذه العوامل الاستشراق في يوم من الأيام إلى القمة ، وباستثناء القليل من العلوم الطبيعية والاجتماعية فقد كانت الدراسات الشرقية تحظى بشرف عظيم ، وكان المستشرقون بكتاباتهم يتمتعون بأهمية بارزة ، اذ كان العامل القوي الذي يعمل عمله وراء ذلك هو عامل الامبريالية (١) ، ونحن مسرورون على ان ذلك العامل لم يعد فعالا ، ولحسن الحظ او لسوءه فقد كانت أغنى بلدان الشرق تحت حكم المسلمين ، وكان الغرب ينظر اليهم نظرة غيرة وحسد لما عندهم من خيرات .

ارادت الامبريالية الغربية اقامة مستعمرات جديدة لذا كان من الضروري لها : دراسة الخصائص القومية لتلك البلدان . ولقد كان هؤلاء المستشرقون هم طلائع المستعمرين . فقد لقوا رعاية الجهات الرسمية ووضعت اموال طائلة تحت تصرفهم ، وكانوا يستقبلون بحفاوة وتقدير في بلاط الملوك ورؤساء الدول . لقد زال هذا العامل من الوجود أما الدافع الآخر فقد كان الكسب الاقتصادي الذي فقد فعاليته هو ايضا ، فقد خضعت البنية الاقتصادية للتحويل بحيث لم يعد مواصلة الدراسات الشرقية تدر النفع المادي كما كانت من قبل .

(١) المقصود بها بسط النفوذ عن طريق الشركات والمؤسسات الاقتصادية

وفي الوقت الذي أعبر فيه عن شعوري بالغبطة للاهتمام المتزايد من قبل المراكز العلمية بالعلوم الاسلامية ، أود ان اضيف الى انه على الرغم من انه لا مكان للمساواة والكهنوت في الاسلام . . الا انه كان دائما لدينا علماء ذوو خبرة واختصاص ، ولم يعد بإمكان المرء ان يضطلع في كل شيء نظرا للتوسيع الطارئ المحسوس الذي حدث في شتى فروع المعرفة . . ففي اوروبا بدأت عملية التقدم عندما كرس الناس انفسهم للتخصص في فروع خاصة من الدراسات ، ولم يعد علماءها يسيطرون على كافة فروع المعرفة ، واعتقد ان هذا المبدأ - وحتى في وقتنا الحالي - متبع في اوروبا اكثر منه في الشرق ، وهناك يعترف الخبراء في أي مجال كان - وبدون تردد - بمهنة او مجال دراسة لا تدخل ضمن مجال اختصاصهم . . والان . . علينا نحن ايضا ان نصمم بتحديد مساعينا الادبية والفكرية لتقتصر على موضوع او فرع دراسي خاص بمفرده .

مستوى الثقافات :

انني فخور بأن اكون رفيق درب . . وانتبهز ذلك لاتجراً فأقدم بعض الاقتراحات .

ربما وافقتم معي على ان مستوى الثقافة يتدنى في وسطنا ولقد التمسنا ذلك في الغرب ايضا ، وقد قال لي بعض العلماء هناك: ان الفساد تسرب الى دراسة العلوم الشرقية ايضا . . ان الجيل الحالي من العلماء يفتقر الى المثابرة والانكباب ، وذلك لاسباب عديدة بعضها سياسية واخرى اقتصادية .

التفكير :

أن روح التفكير قد ضاعت بين علماء ومثقفين عصرنا . . . فقد ضعف حب المعرفة ونسب معه معين القدرة على الجهد والاجتهاد ، وأنني لا أشير بذلك إلى أي كلية أو جامعة دون أخرى إنما هي ملاحظة عامة كما وجدتها ويلمس في كل مكان - تقريباً - أن التفكير الكامل الذي كان يتميز به علماء الماضي لم يعد له وجود في وقتنا الحاضر . . .

و،ستطيع ان نحرز فكرة من كتاب « علماء السلف » الذي كتبه نواب صدر يار جونك مولانا حبيب الرحمن شرواني هنا في عليكره حيث جاء فيه كم كان علماء تلك الايام مشغولين بالدراسة والبحث !! وأي فساد ملحوظ حل بنا الان ؟ لماذا ؟؟ . . .

ان الاسباب تتعلق بالسياسة والاقتصاد ، والادب والاخلاق ، سواء بسواء . . . وليس من الممكن - او من الضروري - مناقشتها هنا . . . والامر الواضح جدا هو ان حب المعرفة الذي يسمو فوق كل شيء ، ويجعل الانسان لا يبالي حتى بالحاجة الى الطعام والملبس ، قد أصبح ذلك الحجب نادرا ان لم نقل قد همد .

خذ مثال مولانا لطف الله من عليكره . . . كم كسان اهتموا به ملة شديدا ولكن دعه وشأنه . . . اليسك من بين العلماء الاوربيين رجل يدعى لين والذي يعتبسر معجزة العربي أساسا لا غنى عنه ليس فقط عند طلاب اللغة العربية وحدهم من الانكليز ، بل حتى عند العلماء العرب . ولقد سمعت انه عندما كان يعمل في معجمه

هذا في القاهرة لم يغادر شقته لاشهر ، ولم يتعرف إلى السوق ، ولم يهتم أبدا بأن يذهب لرؤية الاهرامات . ربما تستطيع ان تسمي ذلك بلادة أو افتقارا إلى الذوق السليم . . . حسدما تريد . ولكنك اذا تمعنت في تاريخ روائع الفن والمعرفة ستجد ان صانعي هذه الروائع ومؤلفيها قد عاشوا في عالم خاص بهم . وكان عملهم هو العاطفة بالنسبة لهم وما كان لديهم وقت لأي شيء آخر أو ميل اليه . . .

الشخصيات الادبية المعاصرة :

انني اتكلم الى اولئك الذين اتخذوا القراءة والكتابة مهنة لهم . . . عندما قرر مولانا شبلي الكتابة عن مكتبة الاسكندرية كان الطلاب المسلمون هدفا لاقوال السخرية: آء . . . اجل ! تنتمون الى الدين والمجتمع الذي أحرق خليفته مكتبة الاسكندرية !! . . . كان هذا الكلام على لسان كل الناس . واولئك الذين عاصروا تلك الايام لا يزالون على قيد الحياة ويحكون أنهم احتاروا أين يخفون رؤوسهم أو كيف يجيبون .

والرواية الشائعة هي ان الخليفة عمر - رضي الله عنه - أخبر ان مكتبة الاسكندرية مليئة بالكتب الفلسفية . وأنه أجاب : « اذا كانت تلك الكتب تتوافق مع القرآن لتبق على حالها ، أما اذا كانت تتعارض معه فيجب ان تحرق . . . » ويزعم أنه تقرر ان الكتب كلها كانت مناقضة لما جاء به القرآن لذا أحرقت حتى آخر كتاب فيها دون ان تفتح لمعرفة مضمونها !! . . .

• قمة المثابرة والبحث العلمي •

ويجدر بي هنا ان اذكر كتاب «نزهة الخواطر» الذي كتبه والذي مولانا عبد الحي •• لقد كتبه بالعربية ، ويقع في ثمانية مجلدات ويبحث في ما يزيد على ٤٥٠٠ شخصية بارزة في الهند ، وكان قد صمم ان يصنفه في بداية القرن العشرين حينما كان هناك القليل من التسهيلات لتعلم اللغة العربية والكتابة بها في بلادنا ، ولقد استغرق منه العمل حوالي خمسا وعشرين سنة لاتمامه ، ويعتبر الآن - حتى في أوروبا - اثنان مرجع من نوعه ، وكتابه « الثقافة الاسلامية في الهند » يحتوي تاريخا كاملا للبحوث والعلوم العربية، ووصفا تفصيليا للكتب والمخطوطات التي خلفها العلماء الهنود ، ولقد نشر في عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف من قبل المجمع العلمي في دمشق ، ولقد سمعت شخصيا علماء سورية وهم يتكلمون عنه بتقدير •

المعرفة من اجل المعرفة :

كان عالم بمفرده - فيما مضى - يقوم بعمل أكاديميات علمية بكاملها، أما الان فقد اقيمت الجمعيات والمؤسسات الضخمة لكن مردودها - اجمالا - غير مشجع ، وقليل ما تقوم بأعمال اصيلة مبتكرة •

ان ما نحتاجه هو رفع مستوى الثقافة • وما المعرفة الاكد وجني ثمرته ، وعطش وارتواء ، وجوع وشبع •• على المرء ان يكرس كامل جهده لعمله وان يعتبره

انها قصة حلققة بالكامل •• حتى ان مؤرخا مثل توينبي (Toynbee) قد أسهم في استمرار تداول هذه القصة ، وفي مجال تعليقه على تبديل الابجدية التركية من قبل أتاتورك يقول توينبي : « انه لو تعلق الامر بالوقت الحاضر لما أحرقت مكتبة الاسكندرية •• ان التبديل في الابجدية كان كافيا » • ولقد فجر العلامة شبلي الاسطورة الى الابد واصبح الان من غير اللائق برجل مثقف ان يقول بأن مكتبة الاسكندرية أضرمت فيها النار بناء على أوامر الخليفة عمر - رضي الله عنه - في خلافته •• لقد قدم أدلة لا تدحض على أن النار أتت على مكتبة الاسكندرية قبيل تولي عمر - رضي الله عنه - الخلافة بزمن طويل •

لقد رفع العلامة شبلي ايضا قضية الجزية وناقشها حتى أنه لم يترك شيئا لمن أتى بعده • ويعتبر مؤلفه « شير العجم » دراسة وبحثا رائعين حتى في إيران ، ويقول البروقيسور براون في كتابه « Literary History of Persia »: لو أنه رغب في تعلم اللغة الأوردية لكان ذلك فقط من أجل تمكينه من دراسة « شير العجم » مباشرة • كان كل هذا بسبب استغراق العلماء في المعرفة مثل العلامة شبلي •

ولقد ألف العلامة سليمان الندوي - الذي تتعلق مواضيعه الرئيسة التي يكتبها بالقرآن والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي - كتابا رائعا عن عمر الخيام حتى انه استحوذ على اعجاب الارساط الادبية في إيران ايضا ، وكتابه Arab-O-Hind Ke Talluqat يمثل

مكافأة في حد ذاته ، لا رئاسة فـرع معين في هذه الجامعة أو تلك .

إن علماء عصرنا الحاضر يستعجلون لجمع المحصول وينصب اهتمامهم الأكبر على الشهرة والترقيع فسي الخدمة وزيادة التعويض وأن قسما كبيرا من طاقتهم يصرّف في السعي وراء هذه الأغراض ، وأن الربح المادي هو الأساس في نظرهم ولا بد أنكم سمعتم بعبادىء كثيرة ، والمبدأ الجديد الذي ينتشر في مؤسساتنا الثقافية ألا وهو المهنية «Careérism» :

الظلمة للمعرفة يجب ألا يكون حالة عابرة :

وشيء آخر هو : ألا يكون الاهتمام بالنشاطات الثقافية اهتماما عابرا فنختار موضوعا للبحث فيه ثم نجتره بسرعة فنلقبه خارجا كحيوان يجتر فلا يكون هناك التزام بالموضوع ولا تعلق ثابت به فاذا ما انتهى البحث غسلنا أيدينا من الأمر كله ولنذكر قول أقبال :

« ان هدف الفن هو لهب الحياة الخالدة

وليس فورة نشاط او اثنتين تحتفیان كالشرارة» .

متابع الدراسة الاسلامية تكمن في الايمان :

ربما تقرّون بالطبع في بعض البحوث عن الحاجة إلى الاجتهاد في العلوم الاسلامية ، ولكننا نوافق على ذلك . . . ولكن لماذا أطلق بابه وما أسباب ذلك وما مدى مساهمة ذلك قضية أخرى ، وسوف أشير إلى أن بعض

أصول العلوم الاسلامية تكمن في الدين . انه المصدر الرئيسي لها ، لذا يجب أن نختلف في موقفنا حيالها عن المستشرقين ، وألا يكون هذا الموقف أكاديميا بأن نقرم بمناقشتها فقط دون أي شعور بالالتزام ، وينبغي علينا أن نعتد بها شريطة أن تكون مرتبطة بركسان الايمان وتهذيبها في حياتنا العملية . ولقد سمعت فسي طفولتي ان عشرة مندات (١) من الحكمة ضرورية لمذ واحد من المعرفة ، والا . . . لا يتمكّن المرء من استنتاج فائدة حقيقية من المعرفة ولا استعمالها بشكل ملائم . وسأدخل تحسينا على ذلك وأقول : ان التقوى يجب ان تكون موجودة أيضا بشكل متناسب مع البحث ، لان القضية هي قضية العلوم الاسلامية ذات الصلة الوثيقة بالدين ، ولا نستطيع ان نخضعها للتشريح كجثة، أجل: ليس من العدالة ان يكون كذلك ، فيجب ان يكون النقد خاليا من الازدراء والسخرية . . .

ان اولئك الذين هم على وعي بمسئوليات الدراسة والبحث وتغير الافكار والآراء لا يقدمون آراءهم واحكامهم بطريقة جازمة موثوقة ولا يفسرون نظرية كما لو انها كانت آخر كلمة في السطر ، وينبغي أن يكون موقفهم كمن توصل الى نتيجة ظهرت بأنها صحيحة في تلك اللحظة .

وفي جلسة أمس آخر السيد بدر الدين طيحي الذي

(١) المند : وحدة وزن هندية تعادل ٨٢.٢٨ باوند .

كان يتوأسفها احد المتكلمين الذين انتهى الوقت المخصص له ، فلم يقل له : ان وقته قد انتهى ، وانما قال له : « أخشى انه قد انتهى الوقت المخصص لك » . نستطيع ان نتعلم الكثير من ذلك ، علينا ان نمارس الكبح فسي تفكيرنا ، وان نتعلم ابداء الاحترام والتقدير للعلم والشخص الذي كرس حياته وطاقاته له .

أهمية اللغة العربية :

ان اللغة العربية ذات أهمية جوهريه . فالمرء لا يستطيع ان يقوم بأي دراسة في العلوم الاسلامية دون ان يكون على درجة من الكفاءة في معرفتها ، وان العلماء الذين لا يتقنون معرفة اللغة العربية معرضون لارتكاب اخطاء فظيعة عندما يكتبون عن القرآن والحديث والدراسات الاسلامية ، ونلجسك بسبب اقتدارهم الى المعرفة باللغة العربية .

أخبرني احد اصدقائي - ذات مرة - ان رجلا قد ترجم معاني القرآن الى اللغة الانكليزية كان يتكلم في مؤتمر في مدينة دلهي ، وحدث ان الادبية المعروفة « بنت الشاطبي » كانت حاضرة ايضا ، ولقد طلبت منه ان يتكلم بالعربية فأجاب - بدون حجل - بأنه لا يعرف هذه اللغة . ثم سمعته بنت الشاطبي بتعجب : وكيف تستطيع إذن ان تترجم معاني القرآن !!! وحين عودتها الى بلدها كتبت سلسلة من المقالات في جريدة الاهرام في القاهرة عن تلك التجربة الفريبة التي مرت بها وعلقت قائلا : « لقد رأيت شيئا من عجائب الدنيا ، وكان هذا :

ان سيدا قد ترجم القرآن ويجهل اللغة العربية !! » تستطيعون الحصول بسهولة على معرفة كافية باللغة العربية وتنجوا بأنفسكم من الوقوع في الاخطاء ، والمدارس العربية سوف تقدم لكم كل العون من اجل ذلك .

تجنبوا احداث الفوضى :

يتسرع بعض الناس في التعبير عن آرائهم ، ثم لا يلبثون بعد فترة ان يتراجعوا عنها !!! . لا شك بأنهم يؤدون واجبهم ، ولكن ماذا عن اولئك الذين كان عليهم ان يغادروا هذه الدنيا وهم على ضلال من جراء اتباع اولئك الناس !!! وتصبح المشكلة خطيرة عندما تتعلق هذه الآراء بالعقيدة والدين لذا ينبغي ان لا ينفذ الصير في التعبير عن آرائنا ، وخاصة عندما تخص عالم الدين ، وعلينا ان نفكر فيها مليا ، ونتفحصها ، ونعرضها على اهل الخبرة وننتظر حكمهم حينذاك فقط يمكن ان ننشر .

ان عصرنا هو عصر الفوضى والانسان هاديء يميل الى الاهمال بطبيعته فحضارة العصر والخطوات السريعة للتقدم العلمي ، والارتفاع المستمر في مستوى المعيشة يفرضي به الى ان يكون اكثر حبا للراحة وتعرضا للفوضى ، وعلينا والحال هذه أن نحجم عن قول اشياء يمكن لها ان تزيد في الاضطراب الفكري عند الناس .

عندما هزم العرب في حربيهم مع اسرائيل عام ١٩٦٧
قلت يومذاك في مقابلة اجريت معي : « ان المسؤولية عن
تلك الهزيمة تقع الى درجة كبيرة على عاتق اولئك
المشككين من مفكرينا الذين زعزعوا الاسس الاخلاقية
والفكرية للشباب ، والقوا بالقيم التقليدية في رحاب
الفوضى » .